

## يونس الابن: لبنانه السماوي

اسعد ابو خليك\*

مات الشاعر اللبناني يونس الابن. حفلت الصحف اللبنانية بمرثيات عنه (وان لم تتشع صحافيات لبنان بالسواد لأن المرحوم لم يكن رجل استخبارات على شاكلة وسام الحسن. الذي تحدثت مجلة «دير شبيغل» عن علاقة بينه وبين الموساد، وفق مصادرها في أجهزة استخبارات شرق أوسطية). والشاعر يونس الابن لم يكن معروفًا من الجيل اللبناني الجديد، الذي يعرف أكثر عن محمد اسكندر وابنه «الشاعر» (بمعنى أنه فياض في المشاعر المعادية والمهينة للمرأة). لكن يونس الابن أثر في الجيل اللبناني الأول الذي شهد استقلال لبنان (الصوري، طبعاً). وشعر يونس الابن خلّدته حنجره وديع الصافي في أغنية «لبنان يا قطعة سما»، كما أنّ صباح خلّدت قصيدة «يسلم لنا لبنان» وخلّد نصري شمس الدين (الذي لم يحظ بالتقدير الذي يستحقه) أغنية «لبنان، شو لبنان»، ولعازار حبيب أغنية جميلة من كلمات الابن («يا راجع عضيقتنا»). وشعر الابن ركن من أركان إرساء دعائم القومية اللبنانية في الثقافة الشعبية والسياسية، وفي الخيال العام الذي خلخل السلامة العقلية لمسخ الوطن.

ويونس الابن أحب لبنان حباً جماً. كيف لا، وهو أطلق اسم لبنان على ابنه البكر كي يُكثي بـ«أبي لبنان». واسم «أبي لبنان» كان اسماً حركياً في مقلب المنطقة الشرقية من بيروت الخاضعة لنفوذ القوات الفاشية في سنوات الحرب. وهناك أكثر من «أبي لبنان» ممن قتلوا مسلمين وفلسطينيين على الهوية، لكن لا علاقة لهؤلاء بيونس الابن، طبعاً. وهناك من مقاتلي الـ«أبي لبنان» ممن اتقنوا التعذيب بعد الخضوع لدورات إسرائيلية مكثفة. لكن يونس الابن لم يخض معترك الحرب إلا من باب الدعاية السياسية، إذ إنّ «صوت لبنان» الكاثولي (والذي كان يخضع لإدارة سياسية توجيهية من العدو الإسرائيلي كما عرفنا من استجابات مع عملاء لإسرائيل في لبنان) أعطاه برنامجاً صباحياً في سنوات الحرب. كان «أبو لبنان» مولعاً بلبنان بيار الجميل، ولكن لا علم لي إذا كان مولعاً بـ«لبنان» وصبرا وشاتيلا وخدمة العدو الإسرائيلي الذي مثلته خير تمثيل إذاعة «صوت لبنان» في سنوات الحرب. حبيب يونس، متخزج من مدرسة حراس الأرز (ذات التعريف الإسرائيلي للبنان)، يقول في رثائه لابن إنه كتب «بلغات ثلاث: اللبنانية المحكية والعربية الفصحى والفرنسية». لكن نسأل حبيب يونس: هل كتب الشاعر المرحوم بـ«اللغا الزغرناوية» أيضاً؟ لعله من دون أن ندري كتب بلغات أربع.

لكن قبل أن نستفيض في الحديث عن مشروع يونس الابن «الفكري». بمعنى ربطه بمشروع القومية اللبنانية. يجب الاعتراف بأنّ الابن

كان موهوباً، وكان فناناً أيضاً يجيد الرسم والخط العربي. وقد اكتشف الرحابنة موهبته الشعرية باكراً ولحّن له عاصي (لنقلع عن «خبرية» الأخوين رحباني) أكثر من قصيدة. لكن موهبة يونس الابن الشعرية، مثل موهبة سعيد عقل المميزة، وظفت في مشروع بناء القومية اللبنانية العنصرية التي نخرت في جسم المجتمع اللبناني وعقله. لا يمكن الاستهانة بإسهامات الابن وعقل بعدما دخلت في الوعي الشعبي اللبناني وأدرجت في المنهج الدراسي المقرّر في لبنان.

وتبدأ قصيدة «يسلم لنا لبنان» (بعد الموال الذي لم يكن هناك غنى عنه، لكن الموال في مطلع الأغنية لم يعد سائداً كثيراً، إذ إنه يتطلب آناة من المستمع والمستمعة، وفريد الأطرش كان يدخل الموال في منتصف الأغنية) بـ«عندي شوقته بكل الدني». يتساءل المرء: الذي كتب هذه الكلمات، هل جال في «كلّ الدني»، قبل أن يقرّر أنّ «شوفة» لبنان «بكل الدني»؟ هل أجرى الشاعر إحصاء أو حتى استطلاعاً من استطلاعات الإنترنت ليقرّر أنّ «شوفة» لبنان تتفوق على «شوفة» كل ما عداه من بقاع وبلدان في العالم أجمع؟ ثم تضيف صباح إنها «استحلت» أنّ تعيش العمر في «حضنه الهني». لكنّها ولدت هي والشاعر الابن في لبنان، أي أنه لا داعي للاستحلاء بتاتاً. نفهم أنّ تستحلي الصبوحة والشاعر أن يعيشاً في حضن لبنان «الهني» (وهذا الهناء يعمّ هذه الأيام في طرابلس وصيدا أكثر من غيرها من المدن والقرى اللبنانية) لو أنّهما ولدا في البرازيل أو هونغ كونغ، مثلاً. ثم يحيي الشاعر لبنان كـ«جنة أمانينا»، لكن الابن لم يوضّح طبيعة الأمان، وخصوصاً أنّ الأمان في البلد الطائفي طائفة مثله. على شاكلة هيئة إدارة النفط اللبناني المفترض، والذي سينقسم فور خروجه من باطن البحر إلى نطف سني وشيعي ودرزي وماروني وروم الخ. أما أنّ يكون لبنان «جنة للأمان»، فهذا ما يتعارض مع تاريخ لبنان وحاضره الراخرين بالصراعات والحروب الأهلية المستمرة.

وتضيف القصيدة المذكورة إنّ اللبنانيين مهما تنازعوا وعطشوا وجاعوا، يتشاركون في أنهم نشأوا كلهم على محبة لبنانهم «الغالي» («مهما تنازعنا وعطشنا وجعنا لبناننا الغالي عمحبو ربينا»). لكن هناك ما هو ناشز هنا: لو أنّ كل اللبنانيين يتشاركون في النشأة على حب الوطن الغالي، فما يفسر هذه المهارة في تكرار الحروب الأهلية المستمرة؟ طبعاً، هناك جواب طريف بات جاهزاً عند أعوان إسرائيل في فريق 14 آذار (السوارث الشرعي لجيش أنطوان لحد في لبنان)، إذ إنهم يصدقون بأنّ الشعب اللبناني هائي ومُسلم ومُحب لولا وجود سلاح مقاومة إسرائيل. ولا ندري إذا كان يجوز إسقاط هذا الطرح عن

مسؤولية سلاح المقاومة عن الصراع الأهلي على كل التاريخ اللبناني، فيصبح هذا السلاح أساس العلة في دير القمر وفي باقي مسارح الحروب الأهلية في القرن التاسع عشر. لكن هذه المقولة مسروقة من مقولة صائب سلام (والذي سرقتها بدوره من الأيديولوجيا الكتائنية) ومفادها أنه كان يخشى في عام 1981 «على اللبنانيين من الاختناق لكثرة العناق لو تركهم الغربي» الفلسطيني. طبعاً، إنّ وحشية الحرب الأهلية زادت وتفاقت بعدما تركت المقاومة الفلسطينية لبنان، والتي كما يدور الحديث في لبنان اليوم كانت تحمّل مسؤولية كل الحروب والصراعات في لبنان. لكن في الأمر صدفة: إنّ هناك في لبنان من يتنطّح دوماً للقول إنّ أساس المشكلة والنزاع في لبنان يكمن فقط لا غير في السلاح الموجود عند تلك الفصائل التي تقاوم العدو الإسرائيلي.

لكن الأغنية التي اختصرت مس الجنون في

### لماذا «أرز الرب» لبناني وليس صوهالياً أو مغربياً؟

### المشكلة ليست في يونس الابن بل في الثقافة السياسية والشعبية

الثقافة الوطنية اللبنانية تحلّت أكثر ما تحلّت في قصيدة «لبنان، شو لبنان»، وهي مُغناة من قبل نصري شمس الدين (وليس وديع الصافي كما هو شائع خطأً) في مسرحية رحبانية. والقصيدة تعزى خطأً أيضاً إلى سعيد عقل، ربّما لأنّ الجنون الوطني التي تتضمّنه يتناسب مع جنون سعيد عقل «الوطني». كيف يمكن وضع كلمة وطني في الجملة نفسها مع الرجل الذي وصف جزاري صبرا وشاتيلا بالأبطال، والذي شكر العدو الإسرائيلي على اجتياحه للبنان وقتله نحو 20000 لبناني وفلسطيني وسوري. معظمهم من المدنيين والمدنيّات؟ تبدأ القصيدة بسؤال بريء عن ماهية لبنان: «لبنان، شو لبنان»، وكأنّ السؤال شغل المعمورة على طريقة السؤال الشكسبري، «نكون أو لا نكون». لكن يونس الابن يسارع إلى الجواب عن السؤال بالقول: «هالك آرزة، العاجقين الكون، هاد قبل ما في كون كانوا هون». أوّاه، يختصر مقطع القصيدة كل علل العقلية اللبنانية. من قرّر أنّ أرز لبنان عاجق الكون؟ وكيف تقرر أنّ أرز لبنان عاجق الكون؟ لكن من الأكيد أنّ أرز لبنان

السودانية. ولئن كان استهداف البرنامج النووي الإيراني، يتطلب بالدرجة الأولى والحاسمة، توريث واشنطن وجهد واشنطن واساطيل وقواعد واشنطن، إلا أنّ بعض الضربات الأخرى، لا تتطلب سوى سكوتها وتواطؤها التقليديين، في مرحلة الأعداد، وتضامنها وحمايتها، في مرحلة التنفيذ وما بعد التنفيذ.

وكانت القيادة الإسرائيلية قد تبلغت، بشكل واضح وحاسم، رفض المشاركة وبالتالي الموافقة الأميركية، على الاستهداف العسكري للمواقع الإيرانية حيث تقوم المنشآت النووية الإيرانية أو حيث يُعتقد أنّها قائمة أو منتشرة. وهي تبلغت بالمقابل، الخطة الأميركية التي لم تُسقط من الاحتمالات الخبار العسكري، لكنها تختبر الآن خياراً آخر، ارتباطاً بالازمة السورية التي هي المنطلق والمحور في المرحلة الراهنة. ولقد كشفت صحيفة «يديعوت احرونوت»، في أوائل شهر اب الماضي أنّ وزير الدفاع الأميركي قد ابلغ القيادة الإسرائيلية، اثناء زيارته لتل ابيب، السيناريو الأميركي المعتمد حيال ايران. وهو سيناريو يقوم على استهداف «النظام والبرنامج النووي الإيراني» في الوقت

عاجق لبنان وأنّ هناك أسطورة خلّقت حول أرز لبنان تدثرت بالأسطورة الفينيقية وعن تاريخ متخيل للبنان (يعزو كمال الصليبي في كتاب صقر أبو فخر عنه، «الهرطوكي الحكمي»، دابة الأسطورة إلى كتاب طانيوس الشدياق، «أخبار الأعيان في جبل لبنان»، لكن هناك كتابات خصوصاً في كتب الرحالة الأجانب سبقت إصدار ذلك الكتاب). ونستطيع أن نجد تجليات للفكر نفسه الذي أنتج قصيدة يونس الابن ترجع إلى الخطاب الذي ألقاه أمين الجميل في الأمم المتحدة عام 1982 (وبصياغة إيلي سالم وغسان تويني ووديع حداد) والذي جاء فيه: «أعطونا السلام وخذوا ما يدهش العالم» (والجملة تنضح بالفكاهة في النصّ الإنكليزي الذي أعدّه الثلاثي الفينيقي، إذ إنه يهذّب بأنّ الشعب اللبناني سيدهش العالم مجدداً، أي أنّ الترجمة الدقيقة كان يجب أن تكون: «أعطونا السلام وخذوا ما



## هل سنقول شكراً لإسرائيل؟

اسعد الله مزرعاني\*

تتعجل الحكومة الاسرائيلية، وهي الأكثر يمينية وتطرفاً في تاريخ الدولة الصهيونية، تتعجل قطاف ثمار العجز العربي والانقسامات العربية والصراعات العربية. انها لا تصبر على ما تراكمه من احتمال

الانتصار بالنقاط من خلال خطط الولايات المتحدة الاميركية وحلفائها الغربيين والعرب، بل تسعى الى محاولة الانتصار بالضربة القاضية: دفعة واحدة كما سعت من غير نجاح حيال الجمهورية الاسلامية الايرانية، او على دفعات، من خلال الغارة التي شنتها، منذ اسابيع قليلة ضد احد المواقع العسكرية

### الزخار

تأسست عام 1953

تصدرت شركة «خبار بيروت»

رئيس التحرير المؤسس

جوزف سماحة

(2006-2007)

مستشار مجلس التحرير

انسجي الحاج

رئيس التحرير، المدير المسؤول

إبراهيم المين

■ نائب رئيس التحرير: بيار ابي صعب ■ مدير التحرير: إيلي شلموب، وفيق قاصوه ■ إقتصاد: محمد زبيب ■ محليات: حسن عليف ■ مجتمع: مهدي زرافط ■ عالم: حسام كفتاني ■ ثقافة: وائل، اهل الانديز ■ وحدة البحوث: عمر شابنة

■ المدير الفني: اميل منعم ■ مدير الموقع الالكتروني: منصور عزيز

■ رئيس مجلس الادارة: ابراهيم المين ■ الادارة المالية: فادي خليك

■ الموارد البشرية: رينا اسماعيل

■ المكاتب: بيروت - فردان - شام دونات - سنتر كونكورد - الطابق

السادس ■ تلفاكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب 5963/113

■ الامتلات: Tree Ad 03 / 252224 - 01 / 611115

■ التوزيع: شركة اللوانك 03 / 828381 - 01 / 666314 - 15